



الأحناف ينشرون التوحيد

الدكتور / فهد بن ناصر الجديد

③ فهد بن ناصر الجديد ، ١٤٤٢ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجديد، فهد ناصر إبراهيم

الأحناف ينشرون التوحيد. / فهد بن ناصر إبراهيم الجديد - الرياض ،
١٤٤٢هـ

63 ص ؛ ١٢×١٧ سم

ردمك: ٧-٦٦٢١-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١ - التوحيد ٢- العقيدة الإسلامية أ.العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤٢/٤٢٩٥

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٤٢٩٥

ردمك: ٧-٦٦٢١-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

إلا لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجاناً، بدون حذف،
أو إضافة أو تغيير، فله ذلك وجزاه الله خيراً..

المقدمة :

عاش المسلمون في القرون الثلاثة المفضلة بعقيدة صحيحة موافقة لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ولم يستدع الأمر أن يدونوا تعريفات لتلك العقيدة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته) [رواه البخاري].

وبعد القرون الثلاثة المفضلة جاء أهل الباطل وبدأوا يحرفون في عقيدة الأمة الإسلامية عن مسارها الصحيح، وسول لهم الشيطان أعمال بدعية فظنوا أنها أعمال حسنة، وبنوا قبب على قبور موتاهم الصالحين، ثم جاء من بعدهم أقوام وبدأوا يدعون الله قريب من قبور هؤلاء الصالحين، ثم استمر الحال في انحراف المسلمين حتى جاء أقوام آخرون وزعموا أن أصحاب تلك القبور أولياء يجب دعاؤهم في الملمات والمصائب عندها دخل الشرك في الأمة الإسلامية. كما أخبر بذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام، ففي الحديث الذي رواه ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وَإِنَّ مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي أُمَّةً مُضِلَّةً وَاسْتَعْبُدُ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانُ وَاسْتَلْحَقُ قِبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمَشْرِكِينَ). صحيح ابن ماجه.

وبالرغم من وجود هؤلاء الأئمة المضلين الذي نشروا الشرك في الأمة الإسلامية فإن هناك أئمة صالحون قاموا بتصحيح أحكام الدين مما علق

بها من شوائب الشرك، ونشروا التوحيد الخالص لله تعالى. ومن بين هؤلاء الأئمة المصلحين علماء الحنفية الذي قاموا بجهود كثيرة وأعمال موفقة فنشروا التوحيد بين الناس، وحذروا من الشرك، وسدوا الطرق المؤدية إليه. وقد قام فضيلة الشيخ الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني -رحمه الله- بإعداد رسالة دكتوراه وجمع جهود هؤلاء العلماء وسماها جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبرية. وقد يسر الله لكاتب هذه السطور أن يقدم تعريفاً مفصلاً عن هذه الرسالة القيمة ليطلع القارئ الكريم على جهود علماء الأمة من الحنفية في نشر العقيدة الصحيحة والتحذير من الشرك والبدع.

1442/04/01هـ

الفصل الأول : تعريفات أساسية : التوحيد والعبادة والشرك

التوحيد والعبادة مصطلحان مترادفان يقصد بهما عبادة الله وحده، فيجب على المسلم معرفتهما والإيمان بهما. والشرك مضاد لهما ويجب على المسلم أيضاً معرفة الشرك كي يتجنب الوقوع فيه. وفي هذا الفصل سوف يتم تعريف التوحيد والعبادة والشرك عند القبوريين ثم الرد عليهم والتصحيح عند علماء الحنفية كما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من عند الله.

المبحث الأول : التوحيد

عرف علماء اللغة التوحيد بأنه : الحكم على الشيء بأنه واحد^(١).

تعريف القبورية للتوحيد :

حاول دعاة القبورية وضع تعريف للتوحيد وحصره في أفعال الله فقط ولم يضيفوا إليه أفعال العباد. ومن تعريفات هؤلاء القبوريين :

التوحيد : اعتقاد انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير وأنه لا فاعل إلا الله^(٢).

التوحيد : أن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا نظير له، وواحد في أفعاله لا شريك له^(٣).

(١) انظر جهود علماء الحنفية : ٨٤.

(٢) انظر جهود علماء الحنفية : ٩٥. انظر : إحياء المقبور لأحمد الغماري : ٢٩.

(٣) انظر جهود علماء الحنفية : ٩٥. انظر : براءة الأشعرين لابن مرزوق : ١٦٤.

التوسل : ٩٥.

التوحيد : إن الله واحد في ذاته، واحد في صفاته، وخالق لمصنوعاته^(١).
التوحيد : هو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه مرجع كل كون، ومنتهى كل قصد، وهذا المطلوب كان الغاية من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم^(٢).

تعريف التوحيد عند علماء الحنفية :

وأما علماء الحنفية فقد اجتهدوا ودونوا تعريف شامل للتوحيد يشمل أفعال الله من الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة والنفع والضرر، وأفعال العباد من الدعاء والسجود والركوع والاستعانة والاستغاثة والذبح والنذر. أي أفراد الله في أفعاله فلا يخلق إلا الله، ولا يرزق إلا الله، ولا يدبر الأمر إلا الله، ولا يحيي ويميت إلا الله. وكذلك أفراد الله في أفعال العباد، فلا يدعى إلا الله، ولا يسجد إلا الله، ولا يركع إلا الله، ولا يستعان ولا يستغاث إلا بالله فيما لا يقدر عليه أحد من خلقه. ولا يذبح إلا الله، ولا ينذر إلا الله. ومن هؤلاء العلماء :

قال الإمام الطحاوي (ت ٣٢١هـ-٩٣٣م) في بيان عقيدة الأئمة الثلاثة للحنفية : أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ-٧٦٧م)، وأبي يوسف (١٨٢هـ-٧٩٨م)، ومحمد بن الحسن الشيباني (١٨٩هـ-٨٠٥م) رحمهم الله -

(١) انظر جهود علماء الحنفية : ٩٥. انظر : ضوء المعالي للقارئ : ١٣. شرح

البابرتي : ٢٩. والنعيمي : ٤٧ للطحاوية.

(٢) انظر جهود علماء الحنفية : ٩٥. انظر : رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده : ٤٣.

تعالى - معرفاً للتوحيد : (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره)^(١). وقال الإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ-١٧٦٢م)، وتبعه الفتني (١٣٢٧هـ-١٩٠٩م): (التوحيد : اعتقاد حصر وجوب الوجود، وقصر خلق السماوات والأرض وسائر الجواهر لله سبحانه وتعالى، واعتقاد حصر تدبير السماوات والأرض وما بينهما له تعالى، فلا يكون غيره سبحانه واجداً ولا خالقاً ولا مدبراً، وأنه لا يستحق العبادة غيره جل وعلا)^(٢).

وذكر الناصري (ت ٦٥٢هـ-١٢٥٤م)، وابن العز (ت ٧٩٢هـ-١٣٩٠م)، والقاري (١٠١٤هـ-١٦٠٥م) : (أن التوحيد يتضمن ثلاثة أمور : ربوبية الله، وصفاته، وعبوديته)^(٣).

وقال الأستاذ أبو الأعلى المودودي^(٤) (ت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) : (معنى لا إله إلا الله: أنه ليس .. أحد جديراً بأن يعبده الناس ويسجدوا له

(١) جهود علماء الحنفية : ٨٨. انظر الطحاوية : ١٧، النور اللامع شرح الناصري :

١٨. شرح الباري : ٢٨. شرح الغنيمي : ٤٧. شرح محمد طيب : ٣٠. شرح خالص : ٣.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٨٩. انظر : حجة الله البالغة : ٥٩/١. وفيض الرحمن :

١٥.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٩٠. انظر : النور اللامع : ٢٣، ١٨، وشرح الطحاوية : ٧٤.

ومنح الأثر : ١٤. وضوء المعاني : ١٠.

(٤) هو أبو الأعلى بن أحمد الهندي مؤسس الجماعة الإسلامية في شبه القارة الهندية.

كان حنفياً، ولكنه كان عدواً للحنفية لتعصبهم وتقليدهم المذموم، وكان صارماً على الصوفية. ويميل بحكم البيئة في المسائل إلى الماتريدية.

بالطاعة والعبادة إلا الله. فما لهذا الكون من مالك ولا حاكم إلا هو وحده، وكل شيء مفتقر إليه، مضطر إلى استعانته^(١).

المبحث الثاني : العبادة

العبادة عند علماء اللغة لها خمسة معان : الخضوع، الذلة، الطاعة، المملوكية، التمسك^(٢).

تعريف العبادة عند القبوريين :

قال القاضي (ت ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م) : (إن مسمى العبادة شرعاً لا يدخل فيه شيء من التوسل والاستغاثة وغيرهما، بل لا يشتبه بالعبادة أصلاً، فإن كل ما يدل على التعظيم لا يكون من العبادة إلا إذا اقترن به اعتقاد الربوبية لذلك المعظم، أو صفة من صفاتها الخاصة بها)^(٣). وقال الفقي^(٤): (وإنما كفر المشركون وخرجوا عن الحنفية بسجودهم لأصنامهم وأوثانهم، لا اعتقادهم ربوبية ما خضعوا له، واستقلالهم بالنفع

(١) جهود علماء الحنفية : ٩١. انظر : مبادئ الإسلام : ٨٠.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٣١١.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٢٩٠. انظر : البراهين الساطعة : ٣٨١. الفرقان : ١١١.

والرد على بعض المتبذعة للفاسي : ١٠، بهامش كتاب إظهار العقوق. وبراءة الأشعريين لابن مرزوق : ٨٩. التوسل للفقي : ١٦. وكشف النقاب للنقوي : ٤٥. وجواز التوسل لدحلان : ٥٢. وقوة الدفاع : ٥٣.

(٤) هو محمد الفقي من علماء الأزهر الشريف، وكتابه هذا من أخصب كتب القبورية. انظر جهود علماء الحنفية : ١٥٤٧.

والضرر، ونفوذ المشيئة مع الله - تعالى - . فالتكريم والخضوع لأولياء الله الصالحين مجرداً عن الاعتقاد المذكور لا يعتبر عبادة شرعاً..^(١).

وقال النقوي^(٢) (١٢٨٩هـ-١٨٧٢م) : (إن المسلمين الذين يزورون قبور الأنبياء والصالحين ويعظمونها ويقبلونها ويطوفون حولها ويتمسحون بها لا يخطر ببال أحد منهم أن هؤلاء الأنبياء والصالحين أو قبورهم آلهة يجب عبادتهم، أو شركاء لله سبحانه، أو أرباب من دون الله، بل يجدون من نفوسهم يقيناً لا مزيد عليه أنهم عباد مكرمون أطاعوا أحكامه وامتثلوا أوامره وبذلوا في سبيله وإعلاء كلمته نفوسهم وأموالهم، فأكرمهم بجنته وأعزهم بجوار قدسه فلذلك هم مستحقون منا التعظيم ومستأهلون للخضوع لهم والاستكانة.. بل لما علمنا أن لهم جاهاً ومنزلة عند الله عز وجل بسبب طاعتهم وعبادتهم له واتباع سننه والجهاد في سبيله، فنسألهم أن يدعو الله لنا فيقضي الله حاجتنا بواسطة دعائهم لنا.. وليس في ذلك من الكفر والشرك شيء)^(٣).

تعريف العبادة عند علماء الحنفية :

ذكر علماء الحنفية مجموعة من مصطلحات لتعريف العبادة، نذكر منها:

(١) جهود علماء الحنفية : ٢٩٤. انظر : التوسل والزيارة للفتي : ١٦ .

(٢) هو علي النقي بن إبراهيم النقوي العراقي النجفي الرافضي الوثني صاحب كتاب البيت المعمور في عمارة القبور. [انظر : جهود علماء الحنفية : ١٨١٨].

(٣) جهود علماء الحنفية : ٢٩٣. انظر : كشف النقاب : ٤٤ .

العبادة : الاعتقاد والشعور بأن للمعبود سلطة غيبية في العلم والتصرف فوق الأسباب، يقدر بها على النفع والضرر، فكل دعاء وثناء وتعظيم ينشأ من هذا الاعتقاد: فهو عبادة^(١).

والعبادة : ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلوب عظمة المعبود^(٢).

العبادة : فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم ابتغاء وجه الله والآخرة^(٣).

العبادة : عبارة عما يجمع كمال المحبة، والخضوع والخوف، والرجاء، والطاعة^(٤).

العبادة : غاية حب العابد للمعبود، مع ذل العابد لمعبوده^(٥).

من خلال هذه المصطلحات المذكورة يؤكد علماء الحنفية أن العبادة تركز على ثلاثة أركان أساسية، هي : الحب والرجاء والخوف. وأن القبورية في دعائهم للأموات والاستغاثة بهم، مثل قولهم : يا علي، يا حسين، يا غوث، يا شيخ، كل ذلك من أنواع العبادات التي لا يحق صرفها إلا لله الواحد الصمد، ومن دعا غيره من الأنبياء والصالحين فقد أشرك مع الله إلهاً آخر.

(١) جهود علماء الحنفية : ٣١٨. انظر : إمداد المفتين للتهانوي : ٨٨/٦.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٣١٢. انظر : مفتاح الجنة للخندي : ٦٥.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٣١٩. انظر : فتح المنان ك : ٤٤٢.

(٤) جهود علماء الحنفية : ٣٢١. انظر : البصائر : ٧٨. وسقط الدرر : ٢٠.

(٥) جهود علماء الحنفية : ٣١٢. انظر : التبيان للرستمي : ٨١.

المبحث الثالث : الشرك

عرف علماء اللغة الشرك، فقالوا : كون أحد الشيئين فأكثر خليطاً مع آخر في أمر ما حسياً كان أو معنوياً.

تعريف الشرك عند القبورية :

انحرفت القبورية في تعريف الشرك كما انحرفت في تعريف التوحيد، وزعم دعايتها أن الشرك محصور في الربوبية. وقالوا : الشرك : أن يجعل العبد مع الله أحداً شريكاً في الخلق والرزق والتدبير والإحياء والإماتة، واعتقاد الاستقلال فيه بالنفع والضرر.

فكل معاملة مع غير الله إذا لم تكن مقرونة بهذا الاعتقاد فليس من العبادة، ولا من الشرك حتى لو كان سجوداً، واستغاثة، ونذراً، وذبحاً، وغيرها. وهذا خلاصة عقيدة القبورية في تعريف الشرك^(١).

تعريف الشرك عند علماء الحنفية :

وقد عرف علماء الحنفية الشرك. فقالوا :

(١) جهود علماء الحنفية : ٣٦٠. انظر مؤلفات القبورية : كشف الارتباب للعالمي : ١٠٥. وكشف النقاب للنقوي : ٤٤. كشف الأسرار للخميني ك ٢٧. ومنهج الرشاد للنجفي : ٢٩. البراهين الجلية للطباطبائي : ٣٢. البراهين الساطعة للقضاعي : ٣٧٥. التوسل لابن مرزوق : ٢٠. مقالات الدجوي : ١٦٢/١. حقيقة التوسل لموسى : ١٤١. المفاهيم للمالكي : ٤٩. الإفهام والإفحام لمحمد زكي : ٣٣. الرد المحكم للرفاعي : ٩٠.

الإمام ابن أبي العز الحنفي (ت ٧٩٢هـ - ١٣٩٠م) - رحمه الله - : (هو الاعتقاد في الصالحين أنهم شفعاء عند الله، واتخاذهم وسيلة إلى الله عز وجل، وعبادتهم على هذا الأساس وهذا أصل شرك العرب، فإنهم لم يعتقدوا في الأصنام أنها مشاركة لله في الخلق والتدبير فإنهم كانوا يقولون بتوحيد الربوبية لله عز وجل^(١)).

وقال الإمام ولي الله الدهلوي (ت ١١٧٦هـ - ١٧٦٣م) - رحمه الله - (حقيقة الشرك : أن يعتقد إنسان في بعض المعظمين من الناس أن الآثار العجيبة - أي الكرامات وكثرة العبادة ونحوها - الصادرة منه إنما صدرت لكونه متصفاً بصفة من صفات الكمال : مما لم يعهد في جنس الإنسان، بل يختص بالواجب جل مجده، لا يوجد في غيره - إلا أن يخلع هو خلعة الألوهية على غيره، ونحو ذلك مما يظنه هذا المعتقد من أنواع الخرافات، كما ورد أن المشركين كانوا يلبنون بهذه التلبية : "لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك"، فيتذلل عنده أقصى التذلل، ويعامل معه معاملة العبادة مع الله تعالى)^(٢).

وقال الإمام الشاه عبدالقادر الدهلوي (ت ١٢٣٠هـ - ١٨١٥م) : (الشرك هو : أن يعتقد في غير الله صفة من صفات الله - تعالى -، كالعلم بكل شيء، أو فعل كل شيء، أو أن بيد فلان خيراً وشرّاً، أو يصرف لغير

(١) جهود علماء الحنفية : ٣٦١. انظر شرح الطحاوية : ٢٠.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٣٦٢. انظر : حجة الله : ١/٦١.

الله من التعظيم ما لا يليق إلا لله - تعالى - كالسجدة وطلب الحاجة، أو اعتقاد أن فلاناً له الاختيار أي التصرف^(١).

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الدهلوي (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م)، وتبعه أبو الحسن الندوي مترجماً له : (اعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحداً بالله ويساوي بينهما بلا فرق، بل حقيقة الشرك : أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله بذاته العلية وجعلها شعاراً للعبودية - لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر وناظر في كل مكان، إثبات التصرف - في الكون - له، كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركاً)^(٢).

وينبغي التنبيه إلى أن علماء أهل السنة والجماعة ومن بينهم علماء الحنفية لا يحكمون بكفر أحد من الناس إذا ارتكب ناقض من نواقض الإسلام إلا بعد إقامة الحجة عليه.

قال العلامة محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م) : (أن المسلم، بل العالم قد يقع في أنواع من الشرك وهو لا يدري، فيجب تنبيهه وتعليمه ليتوب، ولا يحكم بكفره لأجل جهله، وذلك إتماماً للحجة، وإيضاحاً للمحبة)^(٣).

(١) جهود علماء الحنفية : ٣٦٤. انظر : موضع القرآن : ١/١٠٥.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٣٦٥. انظر : رسالة التوحيد للندوي : ٣٢.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٥٣٥. انظر : غاية الأمان : ١/٢٩٨.

وقال أيضاً : (أن أهل التوحيد لا يكفرون إلا من حكم الله - تعالى -
ورسوله صلى الله عليه وسلم بكفره) ^(١).

المبحث الرابع : القبورية المعاصرة أشد شركاً من الوثنية الأولى

قال الإمام محمود الألوسي (ت ١١٧٠هـ - ١٧٥٧م)، مفتي الحنفية ببغداد، في تفسير قوله - تعالى - : (.. دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ..) [يونس : ٢٢] : (الآية داله على أن المشركين [السابقين كانوا] لا يدعون غيره تعالى في تلك الحال [من الشدة]، وأنت خير بأن الناس [القبورية] اليوم - إذا اعتراهم أمر خطير، وخطب جسيم، في بر أو بحر - دعوا من لا يضر ولا ينفع، ولا يرى ولا يسمع، فمنهم من يدعو الخضر، واليأس، ومنهم من يضرع إلى شيخ من مشايخ الأمة، ولا ترى فيهم أحداً يخص مولاه بتضرعه ودعاه، ولا يكاد يمر له ببال، أنه لو دعا الله تعالى وحده ينجو من هاتيك الأهوال، فبالله تعالى عليك : قل لي أي الفريقين [القبورية والوثنية] من هذه الحيثية [في الاستعانة عند الشدائد] أهدى سبيلاً؟؟؟، وأي الداعيين [المشرك المستغيث بالله في الشدة، أو القبوري المستغيث بالميت في الشدة] أقوم قيلاً؟؟؟. وإلى الله المشتكى من [أهل] زمان عصفت فيه ريح الجهالة، وتلاطمت [فيه عليهم] أمواج الضلالة، وخرقت سفينة الشريعة، واتخذت الاستغاثة بغير الله للنجاة ذريعة، وتعذر

(١) جهود علماء الحنفية : ٥٣٦. انظر : فتح المنان : ٤٩٤.

على العارفين الأمر بالمعروف، وحالت دون النهي عن المنكر صنوف
الحتوف^(١).

وقال العلامة السهسواني^(٢) (ت ١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م) - رحمه الله - :
(فإذا عرفت هذه فاعرف أن المشركين الذين كانوا في زمن رسول الله
صلى الله عليه وسلم أخف شركاً من عباد مشركي زماننا، لأن أولئك
كانوا يخلصون لله في الشدائد، وهؤلاء يدعون مشائخهم في الشدة
والرخاء، والله المستعان)^(٣).

وقال العلامة محمد سلطان المعصومي الخندي (ت ١٣٧٩هـ -
١٩٥٩م) - رحمه الله - : (إن هؤلاء القبوريين قد وصلوا إلى حد في
اعتقادهم في الأموات، لم يبلغه المشركون في اعتقادهم في أصنامهم،
وهو أن [أهل] الجاهلية كانوا إذا مسهم الضر دعوا الله وحده، كما حكاه
الله تعالى عنهم في [عدة] آيات، بخلاف المعتقدين في الأموات، فإنهم إذا
دهمتهم الشدائد استغاثوا بالأموات، ونذروا لهم النذور، وقل من يستغيث
بالله سبحانه وحده في تلك الحال)^(٤).

(١) جهود علماء الحنفية : ١١٧٢. انظر : روح المعاني : ٩٨/١١.

(٢) هو محمد بشير بن بدر الدين بن صدر الدين العمري الهندي، كان إماماً في
المعقول والمنقول، وكان محدثاً وفقهياً، وكان من كبار علماء الحنفية.

(٣) جهود علماء الحنفية : ١١٧٩. انظر : صيانة الإنسان : ٤١٩.

(٤) جهود علماء الحنفية : ١١٨٦. انظر : حكم الله الواحد الصمد : ٢٣.

الفصل الثاني : الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية :

يجب على المسلم أن يعرف الفرق بين توحيد الربوبية (أفعال الله) وبين توحيد الألوهية (أفعال العباد) كي يؤدي عبادة الله على الوجه المشروع.

المبحث الأول : أهمية توحيد الألوهية عند علماء الحنفية :

قال الإمام ابن أبي العز (ت ٧٩٢هـ - ١٣٩٠م) : اعلم أن التوحيد [توحيد العبادة] :

أول دعوة الرسل.

وأول منازل الطريق.

وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل.

قال تعالى : (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف : ٥٩].

وقال هود عليه السلام لقومه : (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف : ٦٥].

وقال صالح عليه السلام لقومه : (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف : ٧٣].

وقال شعيب عليه السلام لقومه : (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف : ٨٥].

وقال تعالى : (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) [النحل : ٣٦].

وقال تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [الأنبياء : ٢٥].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله) [البخاري: ١٧/١].
مسلم: ٥٣/١] (١).

وقال الإمام أبو السعود العمادي (٢) (ت ٩٨٢هـ - ١٥٧٤م) : (وَمَا أُمِرُوا) أي والحال أن أولئك الكفرة ما أمروا في كتابيهم، (إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا) عظيم الشأن وهو الله سبحانه وتعالى، ويطيعوا أمره، ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه، فإن ذلك مغل بعبادته تعالى، فإن جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة (٣).

وقال الشيخ الغلام (٤) (ت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) : (إن اليهود والنصارى قد اتخذوا مشايخهم وأئمتهم أرباباً، فعبدوهم من دون الله تعالى، مع أنهم قد أمروا في التوراة والإنجيل بأن لا يعبدوا إلا الله سبحانه، لأنه لا متصرف في العالم ولا قاضي للحاجات، ولا مستحق للاستغاثة والنداء لدفع الكربات وطلب المنافع غيره عز وجل) (٥).

وقال الشاه أنور الكشميري (٦) (ت ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م) : (واعلم أن كلمة الإخلاص لاستئصال الإشراك في العبادة دون الإشراك في الذات، وعليه

(١) جهود علماء الحنفية : ١٢٢. انظر شرح الطحاوية : ١٥-١٧.

(٢) هو محمد بن محمد من كبار علماء الأتراك، ومن عظماء الحنفية في الدولة

العثمانية، صاحب مناصب ووجاهة عند الدولة، منطقي فلسفي ماتريدي.

(٣) جهود علماء الحنفية : ١٢٦. انظر إرشاد العقل السليم : ٤/٦٠.

(٤) هو شيخ القرآن غلام الله خان روالبندي من كبار مشاهير الديوبندية وعظمائهم، كان

حرباً شعوأ على القبرورية ولكن فيه بقايا خرافات مشايخه الصوفية النقشبندية.

(٥) جهود علماء الحنفية : ١٢٦. انظر جواهر القرآن : ١/٤٣٥-٤٣٦.

(٦) هو العلامة المحدث الفقيه محمد أنور شاه بن معظم شاه الملقب عند الديوبندية

بإمام العصر، وأما عند أهل السنة والجماعة فهو حنفي ماتريدي نقشبندي.

[أي على توحيد العبادة] تتبنى دعوة الأنبياء عليهم السلام، لأن منكري الربوبية، أي المشركين في الذات، كانوا أقل قليل، فلم يريدوا بتلك الكلمة [يعني لا إله إلا الله] إلا الرد على الذين كانوا يشركون في العبادة، [دون الربوبية]، كما حكى الله عنهم : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر : ٣]، يعني : أن الله واحد، وهؤلاء مقربون إليه، والعياذ بالله، وقال تعالى : (فَإِذَا رَكبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) [العنكبوت : ٦٥]، وقال تعالى : (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ) [الصافات : ٣٥]، ولم يقل : "يجحدون"، فلم أنهم لم يكونوا منكرين لتلك الكلمة رأساً، لأن الاستكبار بعد العلم، وقد مر أن أول من بعث لدحض الكفر هو نوح عليه الصلاة والسلام، وقبله لم يكن إلا الإيمان فقط، ثم جاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقابل قوم نمرود، وكانوا مشركين في العبادة، فرد عليهم بأبلغ وجه وأتم تفصيل، وعلى هذا بالملة الإبراهيمية هي استئصال الإشرار في العبادة^(١).

المبحث الثاني : اعتقاد القبوريون باتحاد الربوبية والألوهية في آن واحد

زعم دعاة القبورية أن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية واحد، ولا فرق بينهما. وهذا جهل صريح بحقيقة التوحيد الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام من عند الله ألا وهو توحيد الألوهية.

ومن أقوال القبوريين: أن الرب والإله معانها واحد. وإن الإله هو الرب.

(١) جهود علماء الحنفية : ١٣٤. انظر فيض الباري : ١٠٤/١.

ومن بين دعاة القبورية الذي جاءوا بهذه الشبهة^(١) :

قال ابن جرجيس^(٢) (ت ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢م) : (الرب والإله معناهما ومفادهما واحد). وقال : (إن الإله والرب واحد). و (إن الإله هو الرب)^(٣).

وقال دحلان^(٤) (ت ١٣٠٤هـ - ١٨٨٧م) في تهجمه على علماء التوحيد : (وأما جعلهم التوحيد نوعين : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فباطل، فإن توحيد الربوبية هو توحيد الألوهية). وقال أيضاً : (وقالوا : إن التوحيد نوعان : توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وتوصلوا بذلك إلى تكفير المسلمين ..)^(٥).

وقال القضاعي^(٦) (ت ١٣٣٦هـ - ١٩١٨م) : (إن توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر في الوجود وفي الاعتقاد). وقال أيضاً : (فالناطق ب "لا إله إلا الله" معترف بالتوحيد لله في ألوهيته وربوبيته جميعاً)^(٧).

(١) انظر جهود علماء الحنفية : ١٧٧.

(٢) هو داود بن سليمان الحنفي، أحد أئمة القبوريين في العراق، تجرد للدعوة إلى الوثنية والإشراك الله وعبادة القبور.

(٣) انظر جهود علماء الحنفية : 180. انظر : صلح الأخوان : ١٢٧، ١٢٤. وسعادة الدارين : ٢٣/٢.

(٤) هو أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة، ومن أعظم دعاة القبوريين، وكان كذاباً ساقطاً للعدالة.

(٥) انظر جهود علماء الحنفية : ١٨١. انظر : الدرر السنية : ٤٠، ٤١.

(٦) هو سلامة العزامي أحد كبار أئمة القبورية، متجرد للدعوة السافرة إلى الوثنية.

(٧) جهود علماء الحنفية : ١٨٥. انظر : البراهين الساطعة : ٣٧٥.

وقال الدجوي^(١) (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م) : (توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية : .. من ذا الذي فرق بينهما؟! إن صاحب هذا الرأي هو ابن تيمية ..)^(٢).

المبحث الثالث : رد علماء الحنفية على من زعم باتحاد الربوبية والألوهية

وقد رد علماء الحنفية على هذه الجهالة، وبينوا الفرق الشاسع بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية أو توحيد العبادة. ومن هؤلاء :

قال الإمام الطحاوي (ت ٣٢١هـ - ٩٣٣م) في بيان عقيدة الأئمة الثلاثة للحنفية : أبي حنيفة (ت ١٥٠هـ - ٧٦٧م)، وأبي يوسف (١٨٢هـ - ٧٩٨م)، ومحمد (١٨٩هـ - ٨٠٥م) رحمهم الله - تعالى - : (نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله : أن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره)^(٣).

تدبر - رحمك الله - كلام هؤلاء الأئمة، قولهم : "إن الله واحد لا شريك له"، توحيد إجمالي ونفي الشرك. وقولهم : "ولا شيء مثله" : هو توحيد

(١) هو يوسف بن أحمد المصري من أعضاء كبار العلماء بالأزهر، تجرد للدعوة إلى الوثنية، وناصب العداوة لنهضة التوحيد والسلفية.

(٢) جهود علماء الحنفية : ١٨٢. انظر : مقالات الدجوي : ٢٤٨/١. التوسل لابن مرزوق : ٩٧.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٢١٩. انظر الطحاوية : ١٧، النور اللامع : ١٨. شرح ابن أبي العز : ١٥، ٤٢، ٥٢.

الأسماء والصفات. وقولهم : "ولا شيء يعجزه" هو توحيد الربوبية. وقولهم : "ولا إله غيره" هو توحيد الألوهية^(١).

قال الإمام ابن أبي العز (ت ٧٩٢هـ - ١٣٩٠م) - رحمه الله - في شرح الجملة الأخير محققاً أن هذا توحيد العبادة : (وقوله: "ولا إله غيره" هذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم)^(٢).

قال أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ - ٩٤٥م) في تفسير قوله - تعالى - : (مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) [الأعراف : ٥٩] : (أي مالكم من إله تثبت ألوهيته وربوبيته بالدلائل والحجج والبراهين غيره - تعالى -)^(٣) ونقله الناصري (ت ٦٥٢هـ - ١٢٥٤م)^(٤) وأقره.

الشاهد : أن الماتريدي ثم الناصري - وهما من كبار الحنفية قد صرحا بذكر الألوهية والربوبية، وقد عطا الثانية على الأولى، فدل على أن الربوبية غير الألوهية. وأنهما ليسا شيئاً واحداً^(٥).

قال الشيخ محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ - ١٩٢م) : (توحيد الربوبية هو الذي أقرت به الكفار جميعهم، ولم يخالف أحد منهم في هذا الأصل إلا الثنوية والمجوس. وأما غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك فقد اتفقوا على أن خالق العالم ورازقهم، ومدبر أمرهم ونافعهم وضارهم،

(١) جهود علماء الحنفية : ٢١٩.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٢٢٠. انظر الطحاوية : ٥٥.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٢٢١. انظر : تأويلات الماتريدي تفسير سورة الأعراف آية ٥٩.

(٤) جهود علماء الحنفية : ٢٢١. انظر : النور اللامع : ١٩.

(٥) جهود علماء الحنفية : ٢٢١.

ومجيرهم واحد، لا رب ولا خالق ولا رازق ولا مدبر ولا نافع ولا ضار ولا مجبر غيره، كما قال سبحانه وتعالى : (وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ) [لقمان : ٢٥].

إذا علمت هذا تبين لك أن المعركة بين أهل التوحيد والمشركون في الألوهية فقط، وجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم دعوا إلى توحيد الله وعبادته^(١).

المبحث الرابع : لا إله إلا الله الكلمة الفارقة بين الإسلام والكفر

قال العلامة الخجندي^(٢) (ت ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م) رحمه الله : (اعلم أن "لا إله إلا الله" هي الكلمة الفارقة بين الكفر والإسلام، فمن قالها عالماً بمعناها، ومعتقداً بإياها، فقد دخل في الإسلام وصار من أهل دار السلام "الجنة"، وأما من قال : لا خالق إلا الله، أو لا رازق إلا الله، أو لا رب إلا الله، أو لا موجود إلا الله، أو نحو ذلك. فلا يكون مسلماً ولا يكون من أهل دار السلام، وهذه الكلمات وإن كانت حقاً^(٣)، ولكن يشرك في القول بها سائر الناس: من المشركون، والمجوس، والنصارى، واليهود، وغيرهم، سوى الدهرية المادية، كما يشهد القرآن بذلك، فقد ثبت بهذا التحقيق : أن

(١) جهود علماء الحنفية : ٢٠٦. انظر : فتح المنان : ٤٥١.

(٢) هو العلامة محمد سلطان بن أوروفا المعصومي الخجندي، كان من كبار علماء الحنفية، علامة في الفنون النقلية والعقلية، ثم صار من الأثر، هاجر من بلاده ما وراء النهر مختلفاً من سلطات السوفييت فأرأى بدينه إلى الحرمين. من مؤلفاته حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من المبيت المدد.

(٣) باستثناء "لا موجود إلا الله". فإنها من كفيات الحلول والاتحادية.

الذكر النافع المنجي من عذاب الله، إنما هو "لا إله إلا الله" .. ولا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص المنافية للشرك، وكلمة التقوى التي تقي قائلها من الشرك بالله^(١).

وقال العلامة القاري^(٢) (ت ١٠١٤هـ - ١٦٠٥م) - رحمه الله - محققاً أن كلمة الإسلام هي "لا إله إلا الله" دون غيرها: (وإنما جاء الأنبياء عليهم السلام لبيان التوحيد، وتبيان التفريد، ولذا أطبقت كلمتهم، وأجمعت حجتهم على كلمة "لا إله إلا الله"، ولم يؤمروا بأن يأمرؤا أهل ملتهم بأن يقولوا: "الله موجود"، بل قصدوا إظهار أن غيره ليس بمعبود، رداً لما توهموا وتخلوا، حيث قالوا: (هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ) [يونس : ١٨]. و (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) [الزمر : ٣] ..^(٣).

(١) جهود علماء الحنفية : ١٤٣. انظر : مفتاح الجنة : ٤٠، ٤١، ٦٢.

(٢) هو العلامة علي بن سلطان محمد أبو الحسن الهروي المكي، من كبار أئمة الحنفية الجامعين بين الحديث والفقه.

(٣) جهود علماء الحنفية : ١٤٧. انظر : منح الأزر : ٧.

الفصل الثالث : انحراف القبورية في الاستغاثة بالأموات والرد عليهم

تزعم القبورية بأن الاستغاثة بالأموات ضروري لدفع الكربات وجلب المنافع والخيرات، وقد ألف مدعو العلم عندهم الكثير من الكتب في هذا المجال، ومن تلك الكتب :

مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام.

شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق.

أنوار الانتباه بحل النداء بيا رسول الله.

بركات الاستمداد.

تحريض الأغبياء في الاستغاثة بالأنبياء والأولياء.

نفحات القرب الاتصال بإثبات التصرف للأولياء بعد الانتقال.

ومن أمثلة القبورية في الاستغاثة بالأموات، نذكر منها :

المثال الأول : ما ذكره أحمد رضا خان الأفغاني (ت ١٣٤٠هـ-١٩٢٢م)،

الملقب بعبدالمصطفى : (أن سيد الطائفة: الجنيد (ت ٢٩٨هـ-٩١١م)

جاء إلى نهر دجلة ليعبره، فقال : يا الله، ومشى عليه كما يمشي على

الأرض! فراه شخص، وأراد أن يعبره فلم يجد سفينة، فقال للجنيد: إني

أريد أن أعبر هذا النهر، فكيف السبيل؟ فقال الجنيد: قل يا جنيد. يا جنيد،

مرددا لهذا النداء، فتعبه. فقال الرجل : يا جنيد، يا جنيد، ومشى على

النهر، فلما وصل إلى وسط النهر وسوس له الشيطان .. فجعل الرجل

يقول : يا الله، يا الله. فغرق في الماء. فصرخ ونادى الجنيد، وقال : أيها

الحضرة! قد غرقت. فقال له الجنيد : قل يا جنيد، يا جنيد. فجعل الرجل يقول : يا جنيد، يا جنيد. فنجأ من الغرق، وعبر النهر. ثم قال الرجل للجنيد : أيها الحضرة ما السر في أنك كنت تقول : يا الله. فتعبر النهر؟ ولما أنا قلت : يا الله. غرقت. فقال له الجنيد : نعم، أيها الأحمق! إنك لم تصل بعد إلى منزلة الجنيد، وتطمع في الوصول إلى الله مباشرة. الله أكبر^(١).

المثال الثاني : ما استدل به النبهاني (ت ١٣٥٠هـ-١٩٣١م) قائلا : (إن سيدي محمد الحنفي^(٢) قدس الله سره فرش سجاده على البحر، وقال لمريده : قل يا حنفي، وأمش، فمشى المريد خلفه، فخطر له : لم تقول : يا حنفي؟ هلا قلت : يا الله. فلما قالها غرق. فأمسك الشيخ (الحنفي) بيده، وقال له : أنت الحنفي تعرفه، فكيف بالله؟ فإذا عرفت الله، فقل : يا الله. يشير إلى أن الوسائط لابد منهم^(٣)).

المثال الثالث : ما قاله الإمام الألوسي (ت ١٢٧٠هـ-١٨٥٤م) في تفسير قوله - تعالى - : (ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ

(١) جهود علماء الحنفية : ١٠٥٧، وانظر : الملفوظات : ١٣١/١.

(٢) هو : محمد الملقب بشمس الدين المعروف بالسلطان، حنفي الفروع، وثني الاعتقاد، توفي (٨٤٧هـ-١٤٤٣م)، جعلوه في منزلة الغوث والقطب.

(٣) جهود علماء الحنفية : 1058. انظر : شواهد الحق : ٤٤٧، عن لمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبدالعال لمصطفى كمال الدين بن عمر البكري.

يُشْرِكُونَ) [النحل : ٥٤] : (وفي الآية ما يدل على أن صنيع أكثر العوام اليوم : من اللجوء إلى غيره تعالى ممن لا يملك لهم، بل ولا لنفسه نفعاً ولا ضرراً - عند إصابة الضرر لهم، وإعراضهم عن دعائه تعالى عند ذلك بالكلية - سفه عظيم، وضلال جديد، لكنه أشد من الضلال القديم، ومما تقشعر منه الجلود، وتصعر له الخدود الكفرة أصحاب الأخدود فضلاً عن المؤمنين باليوم الموعود، أن بعض المتمشixin قال لي وأنا صغير : إياك ثم إياك أن تستغيث بالله تعالى - إذا خطب دهاك، فإن الله تعالى لا يعجل في إغاثتك، ولا يهتمه سوء حالتك، وعليك بالاستغاثة بالأولياء السالفين، فإنهم يعجلون في تفريج كربك، ويهمهم سوء ما حل بك. فمج ذلك في سمعي، وهمي ودمعي، وسألت الله تعالى أن يعصمني والمسلمين من أمثال هذا الضلال المبين)^(١).

المثال الرابع : ما قاله واستدل به النابلسي الحنفي^(٢) (ت ١١٤٣هـ - ١٧٣١م) : (أن معروف الكرخي^(٣) كان يقول لأصحابه : (إذا كان لكم إلى الله تعالى حاجة فأقسموا عليه بي، ولا تقسموا عليه به تعالى، فيقل له

(١) جهود علماء الحنفية : ١٠٥٩. انظر : روح المعاني : ١٤/١٦٦.

(٢) هو عبدالغني بن إسماعيل بن عبدالغني الفلسطيني، أحد كبار الصوفية القبورية، كان حنفياً في الفقهيات.

(٣) هو أبو محفوظ معروف بين فيروز البغدادي، أحد شيوخ الصوفية، توفي سنة (٢٠٠هـ/٨١٦م).

في ذلك : لم؟. فقال : هؤلاء لا يعرفون الله تعالى، فلم يجبههم، ولو أنهم عرفوه لأجابهم) ^(١).

المبحث الأول : الرد على القبورية بالاستشهاد بالقرآن الكريم

وقد رد علماء الحنفية ^(٢) على القبورية في الكثير من مما جاء في كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما جاء في كتب الله : قال الله - تعالى - : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة : ٥]. قوله - تعالى - : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِي فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) [البقرة : ١٨٦].

وقال - تعالى - : (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [غافر : ٦٠]. وقال - تعالى - : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [المؤمنون : ١١٧]. وقال - تعالى - : (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) [المؤمنون : ١١٧].

(١) جهود علماء الحنفية : ١٠٦٣. انظر : كشف النور : ٢٠.

(٢) انظر شرح الطحاوية للإمام أبي العز. وحجة الله البالغة للإمام ولي الله الدهلوي، وسيف الله للإمام صنع الله الحلبي، والبلاغ المبين للإمام محمود نعمان الألوسي. وغاية الأمانى لشكري الألوسي، وحكم الله الواحد الصمد للحندي، ومقدمة جواهر القرآن للشيخ غلام الله. وغيرهم من الحنفية.

وقال - تعالى - لمن يدعو غيره : (إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكُكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلَ خَبِيرٍ) [فاطر : ١٤].

وقال - تعالى - : (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) [الجن : ١٨].
وقال - تعالى - : (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ) [الشعراء : ٢١٣].

وقال - تعالى - : (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفِّهِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) [الرعد : ١٤].

المبحث الثاني : الرد على القبورية بالاستشهاد بالأحاديث الشريفة

وأما ما جاء في السنة المطهرة من الأحاديث الشريفة التي تؤكد إخلاص الدعاء لله وحده، فقد رد علماء الحنفية على القبورية في هذا الشأن، ومنها :

قوله صلى الله عليه وسلم : (الدعاء هو العبادة) ^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) ^(٢).

(١) رواه أبو داود : ١٦١١٢. والترمذي : ٢١١/٥. وابن ماجه : ١٢٥٨/٢.

(٢) البخاري : ٣٨٤/١، مسلم : ٥٢١/١.

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، قال : (قال رجلٌ: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: "أن تدعو الله ندًا وهو خَلَقَكَ")^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (استعن بالله ولا تعجز)^(٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال : كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال : (يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظك الله تجده تجاهك إذا سألت فأسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله..). استدل علماء الحنفية بهذا الحديث الشريف في إبطال عقيدة القبورية، ومن استغاثتهم بغير الله -تعالى-^(٣).

وعن جابر بن سليم، قال : قلت : (وأنت رسول الله؟. قال : وأنا رسول الله الذي إذا أصابك ضرر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته ردها عليك)^(٤).

قول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه : (إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً)^(٥).

(١) البخاري : ٢٥١٧/٦، مسلم : ٩١/١.

(٢) مسلم : ٢٠٥٢/٤.

(٣) جهود علماء الحنفية : ١١٠٧-١١١٥، وانظر روح المعاني : ١٢٨/٦، فتح المنان : ٤٧٣. وغاية الأمانى : ٢٩٩/٢، حكم الله الواحد الصمد : ٢٨، مفتاح الجنة : ٤٦، ومفتاح الجنة : ٤٦، وتنشيط الأذهان : ٤٣، والتبيان : ١٢٦.

(٤) رواه أبو داود : ٣٤٤/٤.

(٥) رواه أبو داود : ١٥٦/٢.

المبحث الثالث : رد علماء الحنفية على القبورية بالاستغاثة بالأموات

بالإضافة لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد رد

علماء الحنفية بأقوالهم على دعاة القبورية، ومن هؤلاء :

قال الإمام الأعظم أبي حنيفة (١٥٠هـ-٧٦٧م) : (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله تعالى إلا به، وأكره أن يقول [المرء] : أسألك بمعقد العز من عرشك، وأكره أن يقول : وبحق أنبيائك، ورسلك، وبحق البيت الحرام)^(١).

وقد رواها الإمام القدوري^(٢) (ت٤٢٨هـ-١٠٣٧م) عن الإمام بشر بن الوليد (ت٢٣٨هـ-٨٥٢م) : أنه قال : سمعت أبا يوسف (ت١٨٢هـ-٧٩٨م) يقول : قال : أبو حنيفة : (لا ينبغي لأحد أن يدعو إلا به ..)، فذكرها بتمامها في كتابه الذي شرح به مختصر الإمام الكرخي (٣٤٠هـ-٩٥١م)^(٣).

ونقلها عن شرح الإمام القدوري لمختصر الإمام الكرخي كثيراً من كبار علماء الحنفية، مستدلين بها على إبطال عقيدة القبورية في استغاثتهم بالأموات عند الكربات، فحققوا بها أن القبورية مخالفون لشرع الله، كما أنهم مخالفون لأئمة هذه الأمة في المعتقد، ولا سيما أئمة الحنفية، وبهذه

(١) جهود علماء الحنفية : ١١٢٣. انظر : جهود علماء الحنفية : ١١٢٣. انظر : زيارة القبور : ٤٧. وجلاء العينين للعلامة نعمان الألوسي : ٤٥٢. وغاية الأمان : ٦٥/٢. وفتح المنان : ٤١٠. وصيانة الأنسان للعلامة السهسواني : ٢١١. والبصائر للفنجفيري : ١١٧. والكواكب الدرية للرباطي : ١٢٦.

(٢) هو : أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي، صاحب "المختصر" المشهور في فقه الحنفية، وأحد كبار أئمة الحنفية.

(٣) جهود علماء الحنفية : ١١٢٤. انظر : تاج التراجم : ٣٩. وطبقات الفقهاء : ٦٠. وكشف الظنون : ١٦٣٤/٢. أسماء الكتب لعبد اللطيف : ٢٦٧.

المقالة قد اجتثوا جميع شبهات القبورية في الاستغاثة بغير الله من أصلها، واستأصلوا جميع مزاعمهم في التوسل الباطل من جذورها^(١).
وقد ذكر الإمام الحصكفي^(٢) (ت ١٠٨٨هـ - ١٦٧٧م) لفظاً آخر لمقالة الإمام أبي حنيفة فيما رواه عنه الإمام أبو يوسف أنه قال: (لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به، والدعاء المأذون فيه، المأمور به: ما استقيد من قوله -تعالى-: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف : ١٨٠]. وكره قوله: بحق رسلك، وأنبيائك، وأوليائك، أو بحق البيت..)^(٣).
وقال الإمام ابن عابدين الشامي (١٢٥٢هـ - ١٨٣٦م) في شرح كلام الإمام أبي حنيفة: (إلا به) : أي بذاته، وصفاته، وأسمائه^(٤).
وتبعه العلامة الرستمي فنقل قوله وأقره، ثم قال في الرد على القبورية عامة والقبورية من الحنفية خاصة: (فعلم من هذا القول [أي قول أبي حنيفة] حصر التوسل الاسمي في الأدعية في أسماء الله تعالى وصفاته^(٥)).

(١) جهود علماء الحنفية : ١١٢٤. انظر : زيارة القبور للإمام البركوي : ٤٧.

(٢) هو علاء الذي محمد بن علي بن عبدالرحمن الدمشقي الحصري، من كبار أئمة الحنفية.

(٣) جهود علماء الحنفية : ١١٢٥. انظر : الدر المختار للحكصفي شرح تنوير

الأبصار للتمرتاشي : ٢٥٤/٥.

(٤) جهود علماء الحنفية : 1126. انظر : رد المحتار على الدر المختار، حاشية

ابن عابدين.

(٥) جهود علماء الحنفية : 1126. انظر : التبيان : ١٧٢.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي : (والله تعالى يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء، ولا غنى عن الله تعالى طرفه عين، ومن استغنى عن الله طرفه عين، فقد كفر، وصار من أهل الحين) (١).

وقال الإمام الألويسي محمود المفسر : (وتحقيق الكلام في هذا المقام : أن الاستغاثة بمخلوق، وجعله وسيلة بمعنى طلب الدعاء منه - لا شك في جوازه إن كان المطلوب منه حياً، وأما إذا كان المطلوب منه ميتاً أو غائباً - فلا يستريب عالم أنه غير جائز، وأنه من البدع التي لم يفعلها أحد من السلف، ولم يرد عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم - وهم أحرص الخلق على كل خير أنه طلب من ميت شيئاً) (٢).

وقال الإمام الفتني (ت ٩٨٦هـ-١٥٧٨م)، وهو أحد الأئمة الحنفية الكبار في صدد الرد على القبرية : (ومنهم من قصد بزيارة قبور الأنبياء والصلحاء : أن يصلي عند قبورهم، ويدعو عندها، ويسألهم الحوائج، وهذا لا يجوز [لأن ذلك من العبادة] فإن العبادة، وطلب الحوائج، والاستعانة حق لله وحده) (٣).

وقال الإمامان البركوي (ت ٩٨١هـ-١٥٧٣م)، وأحمد الرومي (ت ١٠٤٣هـ-١٦٣٣م)، والعلامة الخجندي (ت ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)،

(١) جهود علماء الحنفية : ١١٣٠. انظر : العقيدة الطحاوي بشرح الألباني : ٥٦.

(٢) جهود علماء الحنفية : ١١٣٤. انظر : روح المعاني : ١٢٥/٦.

(٣) جهود علماء الحنفية : ١١٣٦. مجمع بحار الأنوار : ٢٤٤/٢.

كاشفين الأستار عن أسرار القبورية وإستغاثتهم الشريكية، واللفظ للأول :
(وأما الزيارة البدعية : فزيارة القبور لأجل الصلاة عندها، والطواف بها،
وتقبيلها، واستلامها، وتغفير الخدود عليها، وأخذ ترابها، ودعاء أصحابها،
والاستعانة بهم، وسؤالهم النصر، والرزق، والعافية، والولد، وقضاء
الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللفهان، وغير ذلك من الحاجات التي
كان عباد الأوثان يسألونها من أوثانهم - فليس شيئاً من ذلك مشروعاً
باتفاق أئمة الدين، إذ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أحد
من الصحابة، والتابعين، وسائر أئمة الدين، بل أصل هذه الزيارة البدعية
الشركية مأخوذة عن عباد الأصنام^(١).

وقال الإمام المجاهد الشاه إسماعيل الدهلوي^(٢) (ت ١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م)،
وتبعه الشيخ أبو الحسن الندوي^(٣) (ت ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، مبينين أن
الشرك بالاستغاثة بأهل القبور قد عم وطم، واللفظ للثاني : (استتحال فتنة
الشرك والجهالة في الناس : اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا
الزمان وانتشر، وأصبح التوحيد غريباً ..،
مظاهر الشرك :

(١) جهود علماء الحنفية : ١١٣٩. انظر : زيارة القبور : ٢٨، مجالس الأبرار :
١٢٦، خزينة الأسرار، ونفائس الأزهار : ١٥٧-١٥٨، حكم الله الواحد الصمد : ٢٥-
٢٦.

(٢) هو الإمام العلامة المجاهد إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله الدهلوي، من كبار
علماء الهند من الحنفية، ثم تدريجياً صار من أهل الحديث. جاهد الكفار الهندوكية كما
جاهد القبورية الوثنية. وقتل في معركة بالاكوت بأيدي الهندوكية.

(٣) هو العلامة علي بن عبد الحي الحسيني الندوي، حارب القبورية، وأرغم أنوف
الصنوف من أهل البدع، وأفاد وأجاد، غير أن تأثر بالماتريديّة والنقشبندية والديوبندية.

ومن المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس يستغيثون بالمشايخ، والأنبياء، والأئمة، والشهداء، والملائكة، والجنيات، عند الشدائد، فينادونها بأسمائها، ويصرخون بأسمائهم، ويسألون عنها قضاء الحاجات، وتحقيق المطالب^(١).

وقال العلامة محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م) - رحمه الله - : (فمن المستحيل شرعاً وفطرة، وعقلاً : أن تأتي هذه الشريعة المطهرة الكاملة ، وغيرها - بإباحة دعاء الموتى والغائبين [عند الكربات] والاستغاثة بهم من الملمات والمهمات، كقول النصراني : "يا والدة المسيح اشفعي لنا إلى الإله". أو : "يا عيسى، اعطني كذا"، أو "افعل بي كذا"، وكذلك قول القائل [القبروري] : يا علي، أو يا حسين، أو يا عباس، أو يا عبدالقادر، أو يا عيروس، أو يابدوي، أو يافلان، ونحو ذلك من الألفاظ الشركية التي تتضمن العدل بالله، والتسوية به تعالى وتقدس، فهذا لا تأتي الشريعة، ولا رسالة بإباحته قط، بل هو من شعب الشرك الظاهرة الموجبة للخلود في النار، ومقت العزيز الغفار)^(٢).

(١) جهود علماء الحنفية : 1147. انظر : تقوية الإيمان للشاه إسماعيل : ١٩. رسالة التوحيد للندوي : ٢٥-٢٦.

(٢) فتح المنان تنمة منهاج التأسيس : ٤٤٥-٤٤٩.

الفصل الرابع : غلو القبورية في الصالحين والأولياء والرد عليهم

الغلو في الدين من أعمال القبورية عبر القرون، فقد جاءوا بأقوال وأفعال منافية لما جاء في الكتاب الكريم والسنة المطهرة. وقد تعدد غلو القبورية في الصالحين والأولياء فانحرفوا بهم إلى الشرك الأكبر والخروج من ملة الإسلام. ومن أمثلة الغلو في الصالحين :

المبحث الأول : غلو القبورية في الرسول صلى الله عليه وسلم

ومن أكثر أنواع الغلو انتشاراً الغلو في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. فالبعض يزعم أن هذه محبة للمصطفى عليه الصلاة والسلام، ونسوا أو تناسوا قوله - تعالى - : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) [آل عمران : ٣١]. فمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم في طاعته واتباع ما جاء به من الكتاب والسنة، وليس فيما يمليه عليهم الشيطان وحزبه. ومن أمثلة الغلو في نبينا صلى الله عليه وسلم :

النوع الأول : الغلو في علم الغيب للرسول صلى الله عليه وسلم

ترزعم القبورية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم جميع ما في اللوح المحفوظ. وجميع ما خطه القلم. وأول من قال بهذه الخرافة هو البوصيري^(١) (ت ٦٩٤ هـ - ١٢٩٥ م)، في قصيدة البردة المشهورة عند القبورية:

(١) هو محمد بن سعيد الدلاحي الصنهاجي الصوفي الخرافي. انظر : الوافي بالوفيات للصفدي : ١٠٥/٣.

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم^(١).
ومن دعاوي القبرورية أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم محيط بجميع
الكون. قال بعضهم : لم يجب عن روح رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيء، فهو المطلع على عرشه وعلوه وسفله ودنياه وآخرته وناره وجنته،
فعلمه محيط بجميع المعلومات الغيبية الملوكوتية^(٢).

النوع الثاني : الغلو في تصرف الرسول صلى الله عليه وسلم في الكون.
يعتقد دعاة القبرورية أن الرسول صلى الله عليه وسلم يتصرف في الكون.
ومن أقوالهم : (إن مفاتيح الكون كلها في يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وهو مالك الكل، وإنه النائب الأكبر للقادر، وهو الذي يملك كلمة
"كن"^(٣)).

النوع الثالث : الغلو في الحياة البرزخية للرسول صلى الله عليه وسلم
ومن مزاعم القبرورية أنهم أنكروا الحياة البرزخية للرسول صلى الله عليه
وسلم وزعموا أن حياته في القبر حياة دنيوية، وأنه يصلي في قبره.

قال النانوتوي (١٢٩٧هـ-١٨٨٠م) وغيره من كبار أئمة الديوبندية، أمثال
النجوهي الملقب عندهم بالإمام الرباني (ت ١٣٢٣هـ-١٩٠٥م)،

(١) جهود علماء الحنفية : ٦٩٦. انظر : قصيدة البردة.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٦٩٧. انظر : الكلمة العليا لإعلاء علم المصطفى

للمرآبادي : ١٤. وجاء الحق لأحمد يار خان : ٥٠. وروح البيان للبروسوي.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٧٠٣. انظر : الاستمداد على أجيال الارتداد للبريلوي :

والكشميري الملقب عندهم بالإمام الرباني (١٣٥٢هـ-١٩٣٣م)، والتهانوي الملقب عندهم بحكيم الأمة (١٣٦٢هـ-١٩٤٣م)، والعثماني (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م)، وحسين أحمد الملقب عندهم بشيخ الإسلام (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م) : (إن النبي صلى الله عليه وسلم حي الآن في قبره، فهو كمن انعزل عن الناس واعتكف أربعين يوماً، فهو حي حياة دنيوية بجسده العنصري حياة مستمرة، وحياة حقيقية جسمانية لا روحانية بل هي حسية جسمانية ولذا لا تورث تركته ولا تنكح أزواجه، لأنه حي فلا معنى لتوريث الأحياء، وإنه يصلي في قبره بإذن وإقامة) (١).

المبحث الثاني : الغلو في الأولياء خاصة

غلت القبورية في بعض الأولياء حتى وصل الأمر أن أشركوهم مع الله في الربوبية، وزادوا على كفار قريش. فكفار قريش يوحدون الله في الربوبية ولكنهم يشركون به في الألوهية. وأما القبورية فيشرك بالله في الربوبية والألوهية. ومن هؤلاء الذين أشركوا بهم مع الله في الربوبية :

الشيخ عبدالقادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ-١١٦٦م) إمام القادرية.

أحمد الرفاعي (ت ٥٧٨هـ-١١٨٢م) إمام الرفاعية.

أحمد البدوي (ت ٦٧٥هـ-١٢٧٦م) إمام البدوية.

(١) جهود علماء الحنفية : ٧١٣. انظر : آب حياة "ماء الحياة" : ٢. والكوكب الدري : ٤٢٣/١. وهداية الشيعة : ١٨. واللطائف القاسمية : ٤. وجمال القاسمي : ١٣. والظهور : ١٤٩. والحياة النبوية : ٢. ونقش الحياة : ١١٣/١. وفيض الباري : ١٨٣/١. وتحية الإسلام : ٣٦. وفتح الملهم : ٣٢٩/١. وعقائد أهل السنة والجماعة (الدوبندية) للمفتي عبدالشكور : ١٥٩. وراجع الشهاب الثاقب : ٤٥. وشفاء الصدور للسواتي المدني : ٢٢.

الشاه نقشبند الحنفي (ت ٧٩١هـ-١٣٨٩م) إمام النقشبندية.

الأول : الغلو في عبدالقادر الجيلاني^(١) (ت ٥٦١هـ-١١٦٦م) إمام القادرية

يعتقد دعاة القبورية أن للجيلاني قدرات في الربوبية تعدل ربوبية الله عز وجل. ومن دعواتهم الشركية، قولهم عن الجيلاني : (يا غوثي، أنت المحيي، وأنت المميت. وإن منزلة "كن" و "لا تكن" قد حصلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم منه للجيلاني. إن الجيلاني متصرف في العالم، ومأذون له، ومختار، ومدير للعالم)^(٢).

الثاني : الغلو في أحمد الرفاعي^(٣) (ت ٥٧٨هـ-١١٨٢م) إمام الرفاعية غلت القبورية في الرفاعي، ونسبوا إليه أفعال هو برئ منها، ومن تلك الأقوال : (إنه كان قطب الأقطاب في الأرض ثم انتقل إلى قطبية السماوات ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخالخال .. وقالوا أيضاً : (كان يفقر ويغني، ويسعد ويشقى، ويميت ويحيي، والسماوات السبع في رجله كالخالخال)^(١).

(١) هو الشيخ عبدالقادر الجيلاني أحد علماء الحنابلة، وكان من العلماء الصالحين ولكن بعد وفاته اتخذ القبورية قبره في بغداد صنماً يعبد من دون الله.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٧٢٩. انظر : حقائق بخشش للبريلوي : ١٢٥، ٧/٢، ٢٣/١. والبريلوية : ٧١.

(٣) هو أحمد بن علي بن أحمد المغربي البطائحي الواسطي العراقي، إمام الصوفية الرفاعية الذين صاروا بعده وثنية صوفية شجرة مشغوذین مارقين زنادقة ملاحدة. قبره في قرية واسط بالعراق. ويقال : إن الرفاعي في نفسه كان رجلاً صالحاً ولكن الزندقة سرت في أتباعه.

الثالث : الغلو في أحمد البدوي^(١) (٦٧٥هـ-١٢٧٦م) إمام البدوية

تعد شخصية أحمد البدوي أشنع الخرافات وأخطر الافتراءات على الأمة الإسلامية حيث صيروه ربا متصرفاً في الكون. ومن أشنع من قدسه أحد الخرافيين ويدعى الشعراني^(٢) (ت ٩٧٣هـ-١٥٦٦م)، حيث قال عن حضور المولد البدوي : (وسبب حضوري مولده كل سنة : أن شيخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي رضي الله عنه أحد أركان بيته رحمه الله قد أخذ علي العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد [البدوي] رضي الله عنه وسلمني إليه بيده فخرجت اليد الشريفة من الضريح وقبضت على يدي. وقال [الشناوي : يا] سيدي [البدوي] يكون في خاطرك عليه [أي الشعراني]، واجعله تحت نظرك. [قال الشعراني] فسمعت سيدي أحمد [البدوي] رضي الله عنه من القبر يقول : نعم). وقال أيضاً : (ثم إنني رأيته [أي البدوي] بمصر مرة أخرى .. ثم رأيته بعد ذلك، وقد أوقفني على جسر قحافة تجاه طننتا [طنطا]، فوجدته سوراً محيطاً. وقال [لي]: قف هنا أدخل علي من شئت وامنع من شئت)^(٤).

-
- (١) جهود علماء الحنفية : ٧٣٤. انظر : الرفاعية للدمشقي عن تزيق المحبين : ٩. ولطائف المنن : ٤٩١. وقلادة الجواهر : ٤٢. والتاريخ الأوحى : ١٠٧. وانظر ما قاله الشيخ رشيد رضا عن بعض كتب الرفاعية كما في تعليق على صيانة الإنسان : ٤٤٨. (٢) هو أبو العباس أحمد بن علي المغربي المصري الخرافي. قيل عنه شخصية وهمية غير حقيقية، ومع ذلك فالكثير من الصوفية يتخذون قبره ربا لهذا الكون. (٣) هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي الشعراني، صوفي وتني ملحد هلك في القاهرة، ألف عدة كتب كفرية إلحادية. (٤) جهود علماء الحنفية : ٧٤٣-٧٥٢. انظر : الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني : ١٨٣/١.

الرابع : الغلو في الشاه نقشبند البخاري^(١) (ت ٧٩١هـ-١٣٨٩م) إمام
النقشبندية

يكثر انتشار النقشبندية في بلاد ما وراء النهر خراسان والترك والروم
وأفغانستان والهند. ومن فروعها المجددة : الديوبندية والتبليغية والفنجرية
وغيرهم. وقد غالت القبورية النقشبندية في هذا الرجل حتى وصلت به إلى
مقام الربوبية.

ومن أشنع ما قيل عنه، أنهم قالوا : (إنه "الغوث الأعظم" و "غوث
ال خليفة" و "قطب الحقيقة" و "غوث السبحاني". كان يحيي ويميت. ولو
شاء لجعل الجبل ذهباً. لو حرك كفه لجعل جميع أهل بخارى كبيرهم
وصغيرهم والهيّن هائمين، ويتركون البيوت والدكاكين)^(٢).

المبحث الثالث : الغلو في الأولياء عامة

ومن دعاوي القبوريين التي ما أنزل الله بها من سلطان أن زعموا أن
للأولياء خصائص الربوبية والألوهية. فزعموا أن القطب والغوث ينظران
في اللوح المحفوظ، ويعلمان الأمور الخمسة التي ذكرها الله في كتبه

(١) هو خواجه بهاء الدين محمد بن محمد الأويسى إمام النقشبندية قاطبة. وقد غالت
فيه القبورية إلى أن جعلوه رباً متصرف في الكون.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٧٥٤. انظر : المواهب السرمدية للكردي : ١٠٨. والحدائق
الوردية للخاني : ١٢٥. والأنوار القدسية للسنهوتي : ١١٢٦. والسبع الأسرار لمحمد
معصوم العمري : ٤. والبهجة السنية للخاني : ٦٥. والقصيدة في السلسلة المجددية
النقشبندية للترهتي بهامش كشف الأستار لأبي تراب السندي : ٩٨. جامع كرامات
الأولياء للنبهاني : ٢٥١/١.

الكريم؛ وقت الساعة، ووقت نزول الغيث، وما في الأرحام، وموت الأنفس، وأين تموت.

ومن أقوالهم : (الأولياء يرون اللوح المحفوظ.

إن الأولياء هم أطفال الله تعالى، فهم يعلمون الغيب والشهادة.

إن الأولياء تنكشف لهم العلوم الغيبية مما كان وما يكون وجميع علوم اللوح المحفوظ، وهم أحياء في قبورهم حياة أبدية وعلمهم وإدراكهم أقوى، وسمعهم وبصرهم أقوى مما كان في حياتهم في الدنيا) (١).

المبحث الرابع : جهود علماء الحنفية في إبطال الغلو والرد على القبرية
لقد قام علماء الحنفية في الرد على أباطيل القبرية وفندوا دعاويهم وأقاموا الحجة عليهم. فتارة يستشهدون بآيات من كتاب الله الكريم وتارة بأحاديث من السنة المطهرة ثم يستشهدون بأقوالهم المبينة على الكتاب والسنة. ومن هذه الردود :

الاستدلال بالقرآن الكريم.

قال الله - تعالى - : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ) [النساء : ١٧١].

وقال - تعالى - : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) [المائدة : ٧٧].

(١) جهود علماء الحنفية : ٧٦٠. انظر : طبقات الشعراني : ١/ ١٦٠. وتقويم الدين لجماعة من العلماء في أفغانستان : ١٧٥. وبهار شريعة لأمجد علي : ٥٥.

قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ - ١١٤٤م)، والنسفي (ت ٧١٠هـ - ١٣١٠م)،
والعمادي (ت ٩٨٢هـ - ١٥٧٤م)، والألوسي (ت ١١٧٠هـ - ١٧٥٧م)،
واللفظ للأخير : (لا تغلو في دينكم : أي لا تتجاوزوا الحد، وهو نهى
للنصارى عن رفع عيسى عليه الصلاة والسلام عن رتبة الرسالة إلى ما
تقولوا في حقه من العظمة، وكذا عن رفع أمه عن رتبة الصديقة إلى ما
تتحلوها لها عليها السلام، وهى لليهود - على تقدير دخولهم في الخطاب
- عن وصفهم له عليه السلام، وكذا لأمة عن المرتبة العلية إلى ما
افتروه من الباطل والكلام الشنيع، وذكرهم بعنوان أهل الكتاب، للإيمان
إلى أن في كتابهم ما ينهاهم عن الغلو في دينهم) (١).
الاستدلال بالسنة المطهرة.

استدل علماء الحنفية بالأحاديث الشريفة في التحذير من الغلو في الدين.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك
من كان قبلكم الغلو في الدين) (٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تطروني كما أطرت النصارى
ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله) (٣).
نصوص علماء الحنفية في إبطال الغلو في الدين.

(١) جهود علماء الحنفية : ٨١٧. انظر : الكشف : ٥٨٤/١. والمدارك : ٣٨١/١.

وارشاد العقل : ٢٥٩/٢. وروح المعاني : ٢١٠/٦.

(٢) النسائي : ٢٦٨/٥. وابن ماجه : ١٠٠٨/٢. وصحيح سنن النسائي : ٦٤٠/٢.

وصحيح ابن ماجه : ١٧٧/٢.

(٣) صحيح البخاري : ١٢٧١/٣.

تصدى علماء الحنفية للقبرية وأبطلوا الغلو في الدين بأقوال محكمة وردود شافية. نذكر منها :

قال الإمام محمود الألوسي (ت ١١٧٠هـ - ١٧٥٤م)، وتبعه ابنه نعمان الألوسي (ت ١٣١٧هـ - ١٨٩٩م)، وحفيده شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م)، والشيخ غلام الله الملقب عند الحنفية بشيخ القرآن، والعلامة الرباطي، والعلامة الرستمي : (وفي قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) [الحج : ٧٣]. إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله حيث يستغيثون بهم في الشدة غافلين عن الله تعالى، وينذرون لهم النذور، ورأيت كثيراً منهم يسجد على أعتاب حجر قبور الأولياء، ومنهم من يثبت التصرف لهم جميعاً في قبورهم، وإذا طولبوا بالدليل قالوا : ثبت ذلك بالكشف، قاتلهم الله. ما أجهلهم. وأكثر افتراءهم .. وكل ذلك باطل لا أصل له في الكتاب والسنة، وكلام سلف الأمة، وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم، وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة : من اليهود والنصارى، كذا لأهل النحل الدهري، نسأل الله تعالى العفو والعافية) (١).

وقال العلامة شكري الألوسي (ت ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م) : (إن أريد بها [أي المبالغة في التعظيم] - المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً - حتى الحج إلى قبره، والسجود له، والطواف به، واعتقاد : أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وإنه يشفع فيمن شاء، ويدخل

(١) جهود علماء الحنفية : ٨٢٤. انظر : روح المعاني : ٢١٢/١٧. وجلاء العينين :

٤٩٠. وغاية الأماني : ٣١٢/٢. وجواهر القرآن : ٧٤٨/٢. والكواكب الدرية : ٥٩.

وتنشيط الأذهان : ٤٣.

الجنة من يشاء - فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك وانسلاخ من جملة الدين^(١).

وقال العلامة الخجندي (ت ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م) : (إن من أعظم مكائد الشيطان على بني آدم قديماً وحديثاً - إدخال الشرك فيهم في قالب تعظيم الصالحين وتوقيهم بتغيير اسمه بالتوسل، والتشفع، ونحوه، فالمشرك مشرك شاء أم أبى .. ومن الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره، فلا أضل ممن دعا غير الله، وقد ثبت أن سبب كفر أكثر بني آدم وتركهم دينهم، هو الغلو في الصالحين، واتخاذهم شفعاء بدعائهم، وطلب رغبتهم والالتجاء إليهم، وهم أموات غافلون عنهم لا يقدرون ولا يسمعون لما طلبوه منهم وأرادوه)^(٢).

نصوص علماء الحنفية في إبطال اعتقاد القبورية في حياة الأموات حياة دنيوية

لعلماء الحنفية جهود كبيرة في التصدي لأباطيل القبورية، ومن تلك الجهود إبطال اعتقاد القبورية في حياة الأموات حياة دنيوية. ومن هؤلاء العلماء :

قال الإمام النسفي (ت ٧١٠هـ-١٣١٠م) في تفسيره قوله . تعالى - :
(بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ) [البقرة : ١٥٤] : (لا تعلمون ذلك، لأن حياة الشهيد لا تعلم حساً)^(٣).

(١) جهود علماء الحنفية : ٨٢٥. انظر : فتح المنان : ٣٩٦. وأصل الكلام للإمام ابن

عبدالهادي في الرد على السبكي إمام القبورية في عصره انظر الصارم المنكي : ٤٦٤.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٨٢٧. انظر : حكم الله الواحد الصمد : ٢٦، ٣٣.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٨٣١. انظر : المدارك : ١٠٢.

وقال الإمام أبو السعود العمادي (ت ٩٨٢هـ - ١٥٧٤م) : (ولكن لا تشعرون بحياتهم، وفيه رمز إلى أنها ليست مما يشعر به المشاعر الظاهرة من الحياة الجسمانية، وإنما هي أمر روحاني لا يدرك بالعقل، بل بالوحي) (١).

وقال الإمام أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ - ٩٤٥م) : (إن أرواح الشهداء في الغيب) (٢).

وقال الإمام الألوسي مفتي الحنفية ببغداد (ت ١١٧٠هـ - ١٧٥٧م) : (أي لا تحسون ولا تدركون ما حالهم بالمشاعر، لأنها من أحوال البرزخ التي لا يطلع عليها، ولا طريق للعلم بها إلا بالوحي .. وأن الأرواح - وإن كانت جواهر قائمة بأنفسها - مغيرة لما يحس به من البدن، لكن لا مانع من تعلقها ببدن برزخي مغاير لهذا البدن الكثيف) (٣).

نصوص علماء الحنفية في إبطال اعتقاد القبورية في سماع الموتى نداء المستغيثين بهم

ابطل علماء الحنفية دعاوي القبورية في سماع الموتى نداء المستغيثين بهم وقت النوازل، ومنهم:

قال الشيخ الجنجوهي (ت ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م) : (استدل المنكرين [لسماع الموتى] ومنهم عائشة، وابن عباس، ومنهم الإمام [أبو حنيفة] بقوله تعالى

(١) جهود علماء الحنفية : ٨٣٢. انظر : إرشاد العقل السليم : ١/١٧٩.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٨٣٢. انظر : تأويلات أهل السنة : ١/٢٨٧.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٨٣٢. انظر : روح المعاني : ٢/٢٠، ٢١.

: (إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى)، فإنه لما شبه الكفار بالأموات في عدم السماع - علم أن الأموات لا يسمعون، وإلا لم يصح التشبيه) (١).

قال الإمام النسفي (ت ٧١٠هـ - ١٣١٠م) في تفسير هذه الآية، مبيناً فائدة تقييد "الصم" بتوليهِ الإِدْبَار : (فإن قلت : الأصم لا يسمع مقبلاً أو مدبراً، فما فائد هذا التخصيص؟ قلت : هو [أي الأصم] إذا كان مقبلاً يفهم بالرمز والإشارة، فإذا ولى لا يسمع ولا يفهم بالإشارة) (٢).

قال الشيخ محمد حسين النيلوي، ومحمد أمير البنديالي - وهما من علماء الحنفية المعاصرة، واللفظ للأول، في تفسير قوله تعالى : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ ..) [البقرة : ٢٥٩] : (قد علمت أن عزيزاً لم يعلم في هذه المدة الطويلة شيئاً، ولم ير شمساً تطلع وتغرب، ولا قصراً، ولا نجماً، ولا سحاباً، ولم يحس مطراً، ولم يسمع صوت الرعد ونحوه من الأصوات الهائلة، ولم يشعر مرور النهار، وكر الليالي، ولم يحس الحر ولا الزمهرير . ولو قلنا بشعوره وإحساسه لزم الكذب) (٣).

(١) جهود علماء الحنفية : ٨٤٧. انظر : الكوكب الدري : ٣١٩. والحجيرة : ١٩٧/٢.

(٢) جهود علماء الحنفية : ٨٤٨. انظر : المدارك : ٢٠/٣.

(٣) جهود علماء الحنفية : ٨٥٠. انظر : شفاء الصدور : ١٨.

الفصل الخامس : بدعة البناء على القبور والتصدي له

يُعد البناء على القبور أخطر بدعة صرفت الكثير من المسلمين عن التوحيد الخالص، وأعادتهم إلى الشرك الأكبر سواء علموا أم جهلوا. ولهذا قام علماء المسلمين للتصدي لهذا الخطر العظيم والتحذير منه. ومن بينهم علماء الحنفية على مر العصور. وفي هذا الفصل سوف يتم عرض عقيدة القبرية في البناء على القبور ثم جهود علماء الحنفية للتصدي لهم.

المبحث الأول : عرض عقيدة القبرية في البناء على القبور

يعتقد دعاة القبرية جواز البناء على القبور، وقد صنفوا الكتب والرسائل في جواز ذلك. ومن بين هؤلاء المضلين :

كتب السمنودي (بعد ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م) عنواناً بلفظ : (مبحث البناء على القبور من المذاهب الأربعة من بيان الأدلة)^(١).

أضاف الحسن العاملي العراقي (ت ١٣٧١هـ-١٩٥٢م) فصلاً تاسعاً قائلاً : (الفصل التاسع في بناء القبور والبناء عليها وتجسيصها، وعقد القباب فوقها وعمل الصندوق والخلة لها)^(٢).

(١) جهود علماء الحنفية : ١٦١٣. انظر كشف الارتياح ٣٥٧-٤٠٨.

(٢) المصدر السابق.

الكوثري الحنفي القبوري (ت ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)، كتب مقالة بعنوان :
(بناء مساجد على القبور والصلاة إليها) ^(١).

وللبنوري الديوبندي الحنفي القبوري (ت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، مقدمة
لمقالات الكوثري بالغ في مدح الكوثري، وتهجم على علماء المسلمين
الذي نشروا التوحيد الخالص، فقد تهجم على كتاب التوحيد لابن خزيمة،
والسنة لعبدالله بن الأمام أحمد، ورد الدارمي على بشر المريسي وعدها
كتب وثنية، وكما قيل في المثل المشهور رمتني بدائها وأنسلت. أي يدعو
إلى الوثنية ثم يتهم علماء المسلمين بالوثنية ^(٢).

وقال الكوثري ناقلاً كلام الأبي ^(٣) مقررًا له جواز بناء المساجد والقباب
على القبور : (فأما من اتخذ مسجداً قرب رجل صالح، أو صلى في
مقبرته قصداً للتبرك بآثاره، وإجابة دعائه هناك فلا حرج ..) ^(٤).

وقال الكوثري مستدلاً بكلام النابلسي الحنفي القبوري (ت ١١٤٣هـ -
١٧٣١م)، في جواز اتخاذ القبور مساجد، وجواز بناء المساجد عليها
دعوة سافرة منهما إلى القبورية الوثنية : (وأما من اتخذ مسجداً في جوار

(١) جهود علماء الحنفية : ١٦١٤. انظر مقالات الكوثري : ١٥٦-١٥٩.

(٢) جهود علماء الحنفية : ١٦١٤. انظر مقدمة البنوري لمقالات الكوثري.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن خليفة الوشتاني المغربي الماليك القبوري (ت ٨٢٨هـ -

١٤٢٥م).

(٤) جهود علماء الحنفية : ١٦١٥. انظر إكمال الإكمال : ٢٣٤:٢. ومقالات الكوثري

: ١٥٧.

صالح، أو صلى في قبره وقصد به الاستظهار بوجهه، أو وصول أثر من آثار عبادته إليه لا للتعظيم له^(١)، والتوجه إليه فلا حرج^(٢).

وقال أحمد بن محمد الغُماري^(٣) (ت ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، الخرافي القبوري دعوة سافرة إلى الوثنية رسالة سماها (إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور)^(٤).

المبحث الثاني : استدلال علماء الحنفية بالأحاديث الصحيحة في التحذير من البناء على القبور ووجوب هدمها

وقد قيض الله - تعالى - علماء المسلمين في التصدي لهذه الخزعبلات وتضليل الناس، ومن بينهم علماء الحنفية، ومن جهودهم :

الحديث الأول

عن عائشة - رضي الله عنها - : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : في مرضه الذي توفي فيه : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، قالت : (ولولا ذلك لأبرزوا قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً)^(٥).

(١) انتبه أيها المسلم : فإن قوله : "لا للتعظيم له" معناه : لا لجعله رباً وخالقاً. [توحيد الربوبية].

وأما التعظيمات الشركية القبورية [الشرك في الألوهية] فالقبورية لا يمتنعونها.

(٢) جهود علماء الحنفية : ١٦١٥. انظر الحديقة الندية : ٦٣١/٢. ومقالات الكوثري : ١٥٧.

(٣) هو أبو الفيض أحمد بن محمد الغُماري المغربي مشغل بالفقه والحديث، ولكنه من أئمة القبورية. مفوض في الصفات، صارم على المؤولين وتأويلاتهم.

(٤) جهود علماء الحنفية : ١٦١٨.

(٥) رواه البخاري : ١/١٦٨. ٣/١٢٧٣. ٤/١٦١٥. ٥/٢١٩٠. ومسلم : ١/٣٧٧.

وقد استدل علماء الحنفية على أن البناء على القبور، واتخاذ القبور مساجد من أعظم موجبات لعنة الله، وأنه سبب عظيم إلى الشرك بالله، وأن ذلك من أفعال اليهود والنصارى^(١).

الحديث الثاني

حديث عائشة - رضي الله عنها - : مرفوعاً : (أولئك قوم إذا مات فيهم العبد الصالح، أو الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله)^(٢).

الحديث الثالث

عن جندب بن عبد الله البجلي - رضي الله عنه - : قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس : (.. ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك)^(٣). وقد استدل بهذا الحديث جمع من علماء الحنفية^(٤).

(١) جهود علماء الحنفية : ١٦٢٢، ٤١٥، ٤١٤. انظر : شرح الطحاوية : ٢٢. زيارة القبور للبركوي : ٦-٨. مجالس الأبرار : ١٢٣. عمدة القارئ : ١٣٥/٨. الفكر واللمع في الحوادث والبدع للتركمانى : ٢١٦/١. روح المعاني : ٢٣٨/١٥. جلاء العينين : ٥٢٢. غاية الأمانى : ٢٦٧/١. فتح المنان : ٤٧٧.

(٢) رواه البخاري : ١٦٧/١. ١٦٥. ٤٥٠. ١٤٠٦/٣. ومسلم : ٣٧٦/١.

(٣) رواه مسلم : ٣٧٨/١.

(٤) جهود علماء الحنفية : ٤١٦. انظر : شرح الطحاوية : ٢٢. جلاء العينين : ٥٢٢. زيارة القبور للبركوي : ٥. مجالس الأبرار لأحمد الرومي : ١٢٣. غاية الأمانى :

٢٦٧/١ و ٢٠٦/٢.

الحديث الرابع

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه قال : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه) (١). وفي رواية : (وأن يكتب عليه) (٢).

الحديث الخامس

قال أبو الهياج حيان بن حصين الأسدي الكوفي : قال لي علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أن لا تدع ثمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) (٣). وقد استدل بهذا الحديث الصحيح كثير من علماء الحنفية على تحريم بناء المساجد والقباب على القبور، وعلى وجوب المبادرة إلى هدم المساجد والقباب المبنية على القبور (٤).

(١) رواه مسلم : ٦٦٧/٢. وأبو داود : ٥٥٢/٣. والترمذي : ٣٥٩/٣، قال : حسن صحيح. والنسائي : ٨٦/٤. وابن ماجه : ٤٩٨/١. وأحمد : ٢٩٥/٣. وابن حبان : ٦٥/٥. وعبد الرزاق : ٥٠٤/٣. وابن أبي شيبة : ٣٣٥/٣. والطحاوي في معاني الآثار : ٥١٥/١. والحاكم : ٣٧٠/١.

(٢) راجع المراجع السابقة غير مسلم وأحمد وعبد الرزاق.

(٣) رواه مسلم : ٦٦٦/٢. وأبو داود : ٥٤٨/٣. والترمذي : ٣٥٧/٣. والنسائي : ٨٨/٤. وأحمد : ٩٦/١ و ١٢٩. وعبد الرزاق : ٥٠٣/٣. والحاكم : ٣٦٩/١.

(٤) جهود علماء الحنفية : ١٦٣٣. وانظر : زيارة القبور للبركوي : ١٣. روح المعاني للألوسي : ٢٣٨/١٥. جلاء العينين : ٥٢٢. فتح المنان : ٤٧٧. غاية الأمانى : ٢٦٩/١. فتح الملهم لشبير أحمد العثماني : ٥٠٦/٢. المشاهدات للعلامة الخجندی : ٢٧. البصائر لابن أصف الفنجيري : ٤٥١. المنهاج الواضح لصفدر : ١٨٥. عقد اللآلي والدرر

المبحث الثالث : جهود علماء الحنفية في التحذير من البناء على القبور ووجوب هدمها

قام علماء الحنفية بجهود عظيمة في التحذير من البناء على القبور، أو تجصيصها، أو اتخاذ السرج عليه وحنثوا الأمراء والوجهاء بضرورة هدمها وإزالة جميع البدع المرتبطة بها لما لها من مخاطر على عقائد العامة من الناس. ومن هؤلاء العلماء :

قال الإمام البركوي (ت ٩٨١هـ-١٥٧٣م)، والإمام أحمد الرومي (ت ١٠٤٣هـ-١٦٣٣م)، والإمام ولي الله الدهلوي (١١٧٦هـ-١٧٦٣م)، والشيخ سبحان بخش الهندي، والشيخ إبراهيم السورتی، والشيخ محمد المظفري، والعلامة الرباطي:

(ومن أعظم مكائد الشيطان التي كاد بها أكثر الناس ما أوحاه قديماً وحديثاً إلى حزبه من الفتنة بالقبور، حتى عبدوها من دون الله، كما انهم عبدوا أربابها، وبنوا عليها الهياكل، وبهذا السبب بدأ داء الشرك في قوم نوح - عليه السلام -، فكان ذلك مبدءاً لعبادة الأصنام، ولأجل ذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ القبور مساجد، وبناء المساجد والقبب عليها، ولعن فاعله وبين أنه من أفعال اليهود والنصارى الملعونين الأشرار، فحذر النبي صلى الله عليه وسلم أمته من أفعال اليهود

للعلامة الرباطي : ١٠٤. البلاغ المبين للشاه ولي الله الدهلوي : ٢٦. مصباح المؤمنين لمحمد المظفري : ٢٥.

والنصارى وعامة المشركين في مرضه الذي لم يقم منه، فعمل الصحابة - رضي الله عنهم - بوصيته صلى الله عليه وسلم فلم يبرزوا قبره الشريف صلى الله عليه وسلم، خشية أن يتخذ مسجداً، ويجعل وثناً يعبد من دون الله، [وساقوا عدة أحاديث في ذلك ثم قالوا:] وقد صرح عامة الطوائف بالنهي عن بناء المساجد عليها، والصلاة إليها، متابعة منهم للسنة الصريحة، ونص أحمد ومالك والشافعي على تحريم ذلك والذين قالوا بكرهته أرادوا بالكراهية التحريم، لأنه لا يعقل أن يكون فعل ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعن فاعله مكروهاً فحسب، ولم يكن محرماً!.

وقد صرح الفقهاء بتحريم ذلك، فلو كان اتخاذ السرج عليها مباحاً لم يلعن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعله، مع أنه قد لعنه، لأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، ولأن فيه إفراطاً في تعظيم القبور، ولأن فيه تشبيهاً بعبدة الأوثان، ثم نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البناء على القبور يشمل البناء عليه بالحجارة، وما يجري مجراها، كما يشمل ضرب الخبأ عليه فكلاهما من صنيع أهل الجاهلية ولهذا لعن النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب، لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد.

وهؤلاء المردة [أي القبورية] كانوا يزعمون أن الصلاة لقبورهم تعظيم لها، وهذا شرك جلي، ويزعمون أن التوجه إلى قبورهم حالة الصلاة أعظم موقعاً عند الله - تعالى -، وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع عن اتخاذ

المساجد على القبور، هي التي أوقعت كثيراً من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بشجر أو بحجر، ولهذا نجد كثيراً من الناس عند القبور يتضرعون ويخشعون ويخضعون ويعبدون - بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في مساجد الله تعالى ولا في وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وكثير منهم يرجون من بركة الصلاة عندها ولديها ما لا يرجون في المساجد ..^(١).

وقد ذكر الإمام ابن أبي العز (ت ٧٩٢هـ - ١٣٩٠م) - رحمه الله - عدة أحاديث لتحقيق تحريم بناء القباب والمساجد على القبور، وأن ذلك موجب اللعنة والطرده من رحمة الله، وأنه من أعمال الكفرة الأولى اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين، وأنه من أسباب الإشراك بالله عز وجل، وأنه تجب المبادرة والمصارعة لهدم ما بنى على القبور^(٢).

وقد ساق الإمام محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ - ١٨٥٤م)، مفتي الحنفية ببغداد عدة أحاديث في تحريم بناء المساجد والقبب على القبور ووجوب هدمها، وأن ذلك موجب للعنة من الله تعالى، وأنه من أفعال الكفار السابقين، وأن ذلك من أسباب الشرك بالله تعالى وأنه من الكبائر

(١) جهود علماء الحنفية : ١٦٣٥. انظر : زيارة القبور للبركوي : ٤-٩. ومجالس الأبرار : ١٢٣-١٢٦. وخزينة الأسرار : ١٢٥-١٢٦. ونفائس الأزهار : ١٥٤-١٥٧. وعقد اللآلي والدرر للرباطي : ١١٠-١١٢. والبلاغ المبين للشاه ولي الله : ٢٦-٢٨. ومصباح المؤمنين : ٢٦-٢٧.
(٢) جهود علماء الحنفية : ١٦٤٢. انظر : شرح الطحاوية : ٢١-٢٢.

والموبيقات المهلكات وأن الصلاة إليها وعليها والتبرك بها كل ذلك من المحرمات الكبائر.

ثم قال : قصد الرجل الصلاة عند القبر متبركاً به عين المحادة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وإبداع دين لم يأذن به الله عز وجل، للنهي عنها ثم إجماعاً، وتجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور، إذ هي أضر من مسجد الضرار، لأنها أسست على معصية رسوله صلى الله عليه وسلم، لأنه عليه الصلاة والسلام نهى عن ذلك، وأمر بهدم القبور المشرفة، وتجب إزالة كل قنديل أو سراج علي قبر، ولا يصح وقفه ولا نذره^(١).

المبحث الرابع :إبطال علماء الحنفية لبعض شبه القبورية في البناء على القبور

حرص القبوريون على بناء المساجد والقباب على القبور وحاولوا تطويع الأدلة الشرعية كي توفق هواهم، وجمعوا الشبهات ليضللوا بها عامة الناس. ومن فضل الله - تعالى - أن هيأ للأمة علماء أجلاء تصدوا لتلك الشبهات وبينوا خطأ الاستدلال بتلك الأدلة. ومن بين هؤلاء العلماء علماء الحنفية الذين فندوا تلك الشبه واستدلوا بالأدلة الشرعية من القرآن الكريم والسنة المطهرة.

(١) جهود علماء الحنفية : ١٦٤٣. انظر : روح المعاني : ٢٣٧/١٥ - ٢٣٨.

الشبهة الأولى : زعم القبورىون أن التحريم في البناء فوق القبور

أن النهي الوارد في الأحاديث إنما هو عن بناء المساجد وإيقاد السرج على القبور أي فوق القبور . وأما بجوار القبر فلا حرج في ذلك .

الرد على الشبهة

أجاب علماء الحنفية بأن كلمة (على) الواردة تشمل فوق وتشمل بجوار كما في الأدلة من الكتاب والسنة، ومنها^(١) :

قال الله - تعالى - : (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا..) [البقرة : ٢٥٩] .

فليس معنى ذلك أن هذا الرجل مر فوق جدران القرية.

وقال - تعالى - : (وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ) [التوبة : ٨٤] . فهل معنى الآية نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القيام فوق قبور المنافقين، دون القيام بجوارها؟! .

وأما في السنة المطهرة فقد ورد في حديث الإسراء والمعراج : (فأتيت على آدم ..)، و (فأتيت على إبراهيم) و (فأتيت على موسى). فهل يعقل أن معاني هذه الجمل : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أتى وممر فوق رؤوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؟! .

الحاصل : أن هذه الشبهة باطلة من أصلها . والنهي شامل لجميع تلك الصور ، والأعمال بالنيات .

(١) جهود علماء الحنفية : ١٦٤٨ .

الشبهة الثانية : استدلال القبورية بقوله - تعالى - :

(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا) [الكهف : ٢١].

قالوا : معناه : (لنتخذن على باب الكهف مسجداً يصلي فيه المسلمون، ويتبركون بمكانهم)، وهذا يدل على الجواز.

الرد على الشبهة

لقد أجاب علماء الحنفية عن هذه الشبهة بأن هذه الآية لا تدل على أن هذا فعل المسلمين الموحدين أتباع سنن المرسلين عليهم الصلاة والسلام. بل الظاهر أن هؤلاء كانوا من المشركين فبنوا ذلك على عاداتهم الوثنية .. ولم يأت شرع نبي من الأنبياء على جواز بناء المساجد والقبب على القبور. ولو سلم على سبيل فرض المحال : أن هذا كان جائز في الشرائع السابقة، فالجواب : أن الشرائع السابقة غير حجة في شريعتنا هذه إلا إذا كانت شريعتنا مؤيدة لها مقرر لها. وصرحت شريعتنا بأن هذا من أعمال اليهود والنصارى الذين لعنهم الله - تعالى - بمثل هذه الأعمال التي هي أبواب إلى الوثنية والإشراك بالله عز وجل فلا حجة في ذلك أصلاً. ^(١)

(١) جهود علماء الحنفية : ١٦٥٠-١٦٥١.

الشبهة الثالث : زعم القبورية أن بناء المساجد والقباب على قبور الأنبياء الأولياء عمل توارثته الأمة الإسلامية

خالفاً عن سالف في مشارق الأرض ومغاربها. وهذا يعني إجماع الأمة على جواز ذلك.

الرد على الشبهة

أجاب علماء الحنفية عن هذه الشبهة بأن هذا ليس من باب إجماع الأمة، وإنما هو من البدع الشنيعة، والعادات القبيحة التي توارثها أهل البدع. وقد صرح جمع من الحنفية بأن هذا التوارث هو عمل منكر لا حجة فيه، إذ هو من أفعال العوام الجهلة. وقالوا : (فإن قلت : هو إجماع فعلي فهو حجة كما صرحوا به. قلت : ممنوع .. إذا لم يحفظ ذلك حتى عن العلماء الذين يرون منعه، ويفرض كونه إجماعاً فعلياً إنما هو عند صلاح الأمة بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تعطل ذلك منذ أزمنة)^(١).

الشبهة الرابعة : تشبث القبورية بالقبّة التي بنيت على قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه - رضي الله عنهما -

هكذا أوحاهم الشيطان هذا القياس المفارق مع الفارق.

الرد على الشبهة

أجاب علماء الحنفية عن هذه الشبهة من وجهين :

(١) جهود علماء الحنفية : ١٦٥٦-١٦٥٨.

الوجه الأول : أن البناء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم ليس من باب البناء على القبور . لأن أصل هذا البناء كان موجوداً قبل أن يقبر تحته النبي صلى الله عليه وسلم لأنه كان حجرة لعائشة - رضي الله عنها - ، وكان من بيوت النبي صلى الله عليه وسلم ، فاتفق أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في حجرة عائشة - رضي الله عنها - فدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الحجرة ، بناء على الحديث الوارد في ذلك ، فعن عائشة - رضي الله عنها - : (لما قبض رسول الله - صلى الله عليه وسلم عليه اختلفوا في دفنه ، فقال أبو بكر : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً ما نسيته ، قال : (ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه) ، ادفنوه في موضع فراشه) ، فدفنوه في حجرة عائشة - رضي الله عنها - ، فلم يكن هذا البناء على قبره صلى الله عليه وسلم بنيه البناء على القبر لأنه كان سابقاً عليه ، وأما دفن أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - فكان تبعاً لدفن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المكان .

الوجه الثاني : أن القبة على ضريح النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن موجودة على عهد الصحابة - رضي الله عنهم أجمعين - . ولا عهد التابعين ولا عهد أتباع التابعين ، ولا على عهد أئمة السنة ، في خير القرون من قرون هذه الأمة .

قال العلامة الخجندي (ت ١٣٧٩-١٩٥٩م) مبيناً تاريخ بناء هذه القبة الخضراء على قبر النبي صلى الله عليه وسلم محققاً أنها بدعة : (ابتداء القبة الخضراء على القبر الشريف : اعلم أنه إلى عام (٦٧٨هـ - ١٢٧٩م) لم تكن قبة على الحجرة النبوية التي فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما عملها وبنّاها الملك الظاهر المنصور قلاوون الصالحي في تلك السنة، فعملت تلك القبة .. إنما فعل ذلك لأنه رأى في مصر والشام كنائس النصارى المزخرفة فقلدهم جهلاً منه بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وسنته .. اعلم أنه لا شك أن عمل قلاوون هذا مخالف قطعاً للأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الجهل بلاء عظيم، والغلو في المحبة والتعظيم وباء جسيم، والتقليد للأجانب داء مهلك^(١).

(١) جهود علماء الحنفية : ١٦٦٠-١٦٦٢. انظر المشاهدات المعصومية للخجندي :

الخاتمة :

بفضل الله - تعالى - تم كتابة تعريف مفصل عن جهود علماء الحنفية في إبطال عقيدة القبورية من خلال رسالة الدكتوراه التي قدمها فضيلة الشيخ الدكتور شمس الدين السلفي الأفغاني - رحمه الله -. ويتضمن هذا التعريف الموضوعات الهامة :

تعريفات أساسية : التوحيد والعبادة والشرك.

الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية.

انحراف القبورية في الاستغاثة بالأموات والرد عليهم.

غلو القبورية في الصالحين والأولياء والرد عليهم.

بدعة البناء على القبور والتصدي لها.

الفهرس

المقدمة : ٣

الفصل الأول : تعريفات أساسية : التوحيد والعبادة والشرك ٥

المبحث الأول : التوحيد..... ٥

المبحث الثاني : العبادة..... ٨

المبحث الثالث : الشرك..... ١١

المبحث الرابع : القبورية المعاصرة أشد شركاً من الوثنية الأولى..... ١٤

الفصل الثاني : الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية : ١٦

المبحث الأول : أهمية توحيد الألوهية عند علماء الحنفية :..... ١٦

المبحث الثاني:اعتقاد القبوريون باتحاد الربوبية والألوهية في آن واحد. ١٨

المبحث الثالث:رد علماء الحنفية على من زعم باتحاد الربوبية والألوهية. ٢٠

المبحث الرابع : لا إله إلا الله الكلمة الفارقة بين الإسلام والكفر..... ٢٢

الفصل الثالث : انحراف القبورية في الاستغاثة بالأموات والرد عليهم ٢٤

المبحث الأول : الرد على القبورية بالاستشهاد بالقرآن الكريم..... ٢٧

المبحث الثاني : الرد على القبورية بالاستشهاد بالأحاديث الشريفة..... ٢٨

المبحث الثالث : رد علماء الحنفية على القبورية بالاستغاثة بالأموات. ٣٠

الفصل الرابع : غلو القبورية في الصالحين والأولياء والرد عليهم ٣٥

المبحث الأول : غلو القبورية في الرسول صلى الله عليه وسلم..... ٣٥

المبحث الثاني : الغلو في الأولياء خاصة..... ٣٧

المبحث الثالث : الغلو في الأولياء عامة ٤٠

47 الفصل الخامس : بدعة البناء على القبور والتصدي له 47

المبحث الأول : عرض عقيدة القبرية في البناء على القبور 47

المبحث الثاني : استدلال علماء الحنفية بالأحاديث الصحيحة في

التحذير من البناء على القبور ووجوب هدمها 49

المبحث الثالث : جهود علماء الحنفية في التحذير من البناء على

القبور ووجوب هدمها ٥٢

المبحث الرابع : إبطال علماء الحنفية لبعض شبه القبرية في البناء على

القبور 55

الخاتمة : 61